

المثل السائر

تستعين بها على كشف الغمء والاستكثار من سبايا العبيد والإماء وجيشه أخو الجيش السليمانى فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار فإذا أشرعت قيل جبال متعلقة بقطع من الغيوم وإذا نظر إلى أشكالها قيل إنها أهلة غير أنها تهتدي في مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغي أن يغالى في جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها أمير يلقي البحر بمثله من سعة صدره ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن ممن أفنت الأيام تجاربه وزحمتها مناكبه وممن يذل الصعب إذا هو ساسه وإن لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم فلا يجد هزة بالرياسة وإن كان في الساقه ففي الساقه أو كان في الحراسة ففي الحراسة ولقد أفلحت عمابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رأيه .

واعلم أنه قد أخل من الجهاد بركن يقدر في عمله وهو تمامه الذي يأتي في آخره كما أن صدق النية تأتي في أوله وذلك هو قسم الغنائم فإن الأيدي قد تداولته بالإجحاف وخلطت جهادها فيه بغلوها فلم ترجع بالكاف وإلا قد جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة وجعل الاستئثار بالمغنم من أشرط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا زمانه وبأسه شرباس ولم يستخلفنا عل حفظ أركان دينه ثم نهمله إهمال مضيع ولا إهمال ناس والذي نأمرك به أن تجري هذا الأمر المنصوص من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وأنت المطالب بإثمه وفي أرزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الأكلة التي تكون غدا أنكالا وجيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما .

فتفصح ما سطرنا لك في هذه الأساطير التي هي عزائم ميرمات بل آيات محكمات وتحبب إلى إياك وإلى أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وابن لك منها مجدا يبقى في عقبك إذا أصيبت البيوت في أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل في الوصايا التي أوصاها وأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ثم إنه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة إياك التي تنزل من كل أمر بمنزلة نظامه ثم قال اللهم إني أشهدك على من قلده شهادة تكون